

على هامش كتاب :

في الأدب الصهيوني

بقلم الدكتور ناصر الحايك

مختلفة في هذا العالم . ولكن هذه اللغة لم يتهياً لها حتى اليوم نتاج ادبي نعرف له ابعادا او صورا او اطارا يخولها ان تدخل في حظيرة الاداب المعروفة ، بالرغم من محاولات الصهاينة . ولذلك كان على الذين يريدون ان يتابعوا الصهيونية وتسخيرها الادب وصوره لاغراضها ان يتطلعوا الى لغات اخرى . واحسبنا في غنى عن الاسهاب لندلل على ان اصطلاح « الادب الصهيوني » قد استعمل بكثير من التوسع الذي جاز المؤلف .

لقد اخبرنا الاستاذ كنفاني (1) انه سيستخدم (تعبير الادب الصهيوني في هذه الدراسة للادب الذي كتب ليخدم حركة استعمار اليهود لفلسطين سواء اكتسبه يهود ام كتاب يعطفون - لسبب او لآخر - على الصهيونية ويخدمونها مباشرة او غير مباشرة . وهذا يعني بالطبيعة ان الادب الصهيوني - كما سنستخدم هذا التعبير - يشمل الادب الذي كتب بلغات غير عبرية ومن قبل كتاب غير يهود طالما انه ينضوي تحت راية الصهيونية السياسية ويخدم مخططاتها) . اننا نخالف التسمية ولا نميل اليها بالرغم من هذا الموضوع الشامل الذي انتظم سبيل المؤلف ، ومرد هذا الذي نخالفه عليه سببان اولهما جعل الصهيونية ركيزة ادب شأن المفاهيم الاخرى .

صحيح ان الادب الغريبة عرفت بين صورها نتاجا عني بالشيوعية او الاشتراكية مثلا وتأثر بهما ودافع عنهما وخلق ابطالا تبوهما وظلت عماد فلسفتهم ، ولكننا لا نفردها لهذا بابا بين ابواب الادب الغربي لتسميه الادب الشيوعي او الادب الاشتراكي ، وذلك بالرغم مما للشيوعية - شأن الاشتراكية - من اصول وركائز بناءة تستحق هذا ؟ فقد ظل النقاد يفردون للادب الذي عاش في كنف المبادئ الشيوعية او كان وليدها ابوابا تتحدث عن الادب المتأثر بالشيوعية لا الادب الشيوعي .

ان الصهيونية باعتبارها حركة قومية يهودية توسعية لها شأن لا يختلف عن الفاشية مثلا ، ولا تستحق ان تضاف اليها نسبة الادب . وهنا النواحي التي استطاع الاستاذ كنفاني ان يؤلفها ويبرزها في نتاج بعض الصهاينة الغربيين لا تستحق ان توصف باكثر من انها « متصهنة » . واما السبب الثاني فيمكن في المدار الذي التزمه المؤلف ، فقد عمد الى النتاج الادبي المتصهين في طرفي المحيط الاطلسي - الولايات المتحدة وانكلترا - وتدارسه

ليس بين ما نعرف من اداب الامم في عصرنا هذا او عبر العصور ما يسمى ادبا صهيونيا ، فلقد ظهر لليهود ادب معظمه باللغة العبرية واقدمه « العهد القديم » ، ومر بمراحل لعل أهمها الفترة التلمودية التي امتدت اكثر من اربعة قرون جمعت خلالها الكتب الدينية التي سميت بالتلمود ووضعت لها شروح وتفسير كثيرة عرفت بالتزجوم .

وكان اليهود منذ انتشارهم في الاقاليم يعنون بلغات الاقوام الذين يعيشون بينهم ويتخذونها وساطة تعبيرهم ، فظهر النتاج اليهودي في العصور القديمة باليونانية والارامية كما ظهر في العصور الوسطى بالعربية واللاتينية ، وفي العصور الاخيرة بكثير من اللغات الاوروبية .

ويجدد بنا ان نتذكر ان اللغة العبرية لم تكن لغة قومية في عصر من العصور بل ظلت لغة الكتاب المقدس والشعر الديني ، كما كانت لغة الصلاة . ولم يتهياً لها ان تعنى بالوان الادب المعروفة او تكون وساطة لتلك الالوان ، في اي زمان او مكان طوال التاريخ العبري ، وان يهود شرقي اوربا ووسطها قد عرفوا لغة سموها « بيدش » وهي المانية في اصولها وتضم شيئا من العبرية وبعض اللغات السلافية ، وبدأت نموها خلال القرنين العاشر والحادي عشر ، ولكن صورها الادبية ظلت قاصرة ، واعتبرت لغة وضيفة لم تعرف لها مكانة ادبية حتى اليوم . ولقد بدأت المحاولات الاولى تطوير اللغة العبرية « ذلك الخيط الواهي الوحيد الذي يربط بين اليهود في توزعهم على ارض العالم » كما ذهب الاستاذ كنفاني ، في فترة لا تتعدى قرنا .

ولا نريد ان نشدد على عام بعينه لبدء هذه الظاهرة ، ولكننا نريد ان نتذكر ان تلك المحاولة تعتبر بداية مرحلة من اخطر ما عرف اليهود عبر العصور . فلقد تهاى لهم بعد داب لم يعرف هوادة ان يتحللوا من فكرة الاندماج التي تظاهروا انها كانت شعارهم قرونا ، وتطلعوا الى دعوة « اشرف غزبرغ » التي حملت شعار « اخر يهودي واول عبري » ، وانطوى هذا الشعار على تمسك ذكي باللغة العبرية التي اراد لها هذا الرائد الصهيوني ان ترتفع من العناية بالطقوس الدينية لتكون لغة قوية انتهى بها المطاف ان تستقر بعد ثمانية عشر قرنا في فلسطين وان تكون رباطا يشد اخلاط اليهود الذين أموها من انحاء

المجال ، وهذا ما دفع الاستاذ كنفاني أن يفردها بفصل خاص بها نعتقد بأنه استطاع ان يتابع هذه الشخصية الاسطورية عبر العصور في غاية اللياقة ويحدد ابعادها ومراميتها في ظل الشخصية اليهودية وتقلبها وآمالها في الصعيد الاجتماعي والسياسي ، كما استطاع ان يستوعب كثيرا من الصور التي عرفت بها شخصية اليهودي التائه عبر العصور وظلت - كما ارادها اليهود - (رمزا كئيبا لقوم فقدوا وطنهم في العام الواحد والسبعين من الميلاد ، وظلوا تائهين ثمانية عشر قرنا في انحاء اربع قارات) (٢) . ولا نحدد بان هذه الاسطورة كانت في كثير من فترات التاريخ اليهودي الخيط الوحيد الذي يتمسكون به ولا سيما تلك الفترات التي تعرضوا بها للاضطهاد في اوربا . فلقد كانوا يرون ان ما يحيق بهم ضرب من القضاء والقدر ويتطلعون الى نهاية تباعد عنهم الشرور والنحس . ونحن نعتقد بان الاسطورة تستحق ان تنفرد بدراسة شاملة تستوعب المرامي البعيدة لامال اليهود وتطورها عبر العصور واثرها في الآداب الغربية وفي موقف الشعوب الاوروبية خاصة من اليهود . والحقيقة الثانية التي عرض لها الاستاذ كنفاني عرضا عاما مبثوثا في ثنايا كتابه هي تلك الصورة التي نراها تتكرر في عصور مختلفة وتتتابع بين اُمم كثيرة حاولت ان تعايش اليهود ولكنهم ابوا ان يتمسكوا بولاء او يخلصوا بنسب ، وكان هذا سببا جسر عليهم محنا قاسية في اوربا كلها فنبذوا واحتقروا وتعرضوا لنفي متصل لان كل امة عرفتهم ادركت فيهم العقوق والجشع والانانية .

ولعل من اعجب ما تطالعنا به كتب التاريخ ان اخلاق اليهود هذه تؤجج عليهم بغضاء الشعوب ، ويشير نار هذا التأجج سبب يؤول الى اضطهادهم في احيان كثيرة وهو قتلهم للاطفال وشرب دمائهم .

فمن الحقائق المعروفة ان اليهود قد استطاعوا ان ينعموا بحياة راضية في ايطالية ، ولكنهم عرضوا انفسهم لخطر محيق عام ١٤٧٥ لان فئة منهم قتلت طفلا صغيرا وشربت دمه .

وكان لليهود في بولندا قبل ذلك باكثر من نصف قرن احداث مماثلة عندما شهد أحد القسسنة ان يهوديا قتل طفلا مسيحيا وشرب دمه (٣) . ولقد وجدنا المصلح الديني الشهير (مارتن لوتر) يهاجم اليهود هجوما عنيفا ويشدد على قتلهم الاطفال في رسالته (حول اليهود وكذبهم) فيقول : « ان التلمود يقر بالكذب والسرقة وقتل المسيحيين ، وان اليهود يسممون الينابيع والآبار وانهم يقتلون الاطفال المسيحيين ليستعملوا دماءهم في الاعياد اليهودية » (٤) .

والحقيقة الاخرى التي تستحق ان نتذكرها هي ان الآداب الاوروبية قد عرفت صورة لليهودي لعل ابرع مثال لها (باربالي) في رواية (اليهودي المألطي) لمارسو - التتمة على الصفحة ٧٥ -

وتقصي بصدق وتمحيص نخبة من ابرز رجاله . ولكن هذا قد يوحي بان الادب المتصهين وقف عليهم دون سواهم ، وليس من شك فسي ان ادابسا اوروبية اخرى كبيرة كالإيطالية والفرنسية والالمانية على سبيل المثال لا الحصر - تحفل بما لا يقل عن الادب الانكليزي او الاميركي صهيونية في نوعه وكمه .

ومهما يكن من شيء ، فان هذه الجوانب لا تجور على محتوى كتاب الاستاذ كنفاني الذي استطاع ان يؤلف بين خيوط متناثرة لم يتهيا لها من قبل ان تضم الي بعضها ، وينتقص جوانب هامة عملت على تثبيت الصهيونية المنصل بالادب ونفوذها اليه بكل ما أوتيت من وسائل حتى تهيا لها ان تحتل مكانة هامة .

ونريد ان نشدد على بعض الحقائق الثابتة في تاريخ اليهود الطويل اينما كانوا لتتابع الهيكل الذي انتظم كتاب الاستاذ كنفاني .

لعل من ابرز تلك الحقائق شخصية اليهودي نفسه التي تبلورت - كما يبدو - لتكون ذات صفات منسجمة معلومة وتندرع - اينما كانت - بسيل سلبية تتجانف عن الامتزاج والاندماج مع الشعوب التي تضمها ، وتحرص على تقايلها وتمسك بأساطيرها وتعيش فسي كنفها وتبعث فيها الحياة والبهاء لتظل غنية كفيلا بان تؤدي ما تستطيع الى هذا الدور السلبي الذي يحياه اليهودي ، ولعل أسطورة (اليهودي التائه) من ابرز ما نعرف في هذا

صدر حديثا

مَكَارِبًا لِأَحْرَنَ

مجموعة قصص

بقلم

اديب نحوي

الكتاب القصصي الثالث ، بعد « حتى يبقى العشب اخضر » و « جومي » ، لقصاص اصيل هو نسيج وحده في كتاب القصة العربية المعاصرة ، بفنه الحي ونزغته الانسانية وروحته الالتزامية الصادقة

٢٥٠ ق.ل

منشورات دار الآداب

في الادب الصهيوني

- تمة المنشور على الصفحة ٨ -

و (شايлок) في رواية (تاجر البندقية) لشكسبير ، وهذا المثال يحمل كل ما ورتته العصور عن جشع اليهود وطمعهم ومكرهم واستخفافهم ، وقد لعبت طلائع الصهيونية ودعاة عدم الاندماج دورا كبيرا في محاولة بطيئة ، لكنها بارعة ، لتغيير هذه الصور كلها لتحل محلها صورة اليهودي فيها استعلاء وتفوق وعصمة ، وأضيف عليها كثير من مظاهر البطولة والرجولة . وقد خص الاستاذ كنفاني نهج زعماء الصهاينة والمتصهينين - من غيرهم - الذين عملوا على خلق هذه الصورة بفصلين شاملين فيهما عمق وتحليل صادق هما : (الادب الصهيوني يضبط خطواته مع السياسة) و (العصمة اليهودية امام عدم جدارة الشعوب الاخرى) .

وليس من شك بان الاستاذ كنفاني قد استطاع ان يمضي بتحليل أخطر القصص التي يعتبرها الصهاينة تلمودهم الجديد ومستودع فلسفتهم ومناهجهم العلمية وفي رأسها كتابان عمد الى الحديث عنهما بأسهاب هما (الخروج) للكاتب الصهيوني (ليون أوريس) و (المصدر) للكاتب الصهيوني جيمس .

لا غرو بان رواية (الخروج) خاصة كان لها اثر كبير في الولايات المتحدة ، وهي تمثل اعنف ما استطاعت الصهيونية العالية ان تجنده لتشويه حقيقة العقل العربي والكرامة العربية وتؤدي الدور الذي يؤول الى ما يسمى (غسل الادمغة) بحيث تحذف كل ما هو عائق بها من صور اليهودي عبر القرون لترسم صورة مغايرة مثيينة يكون بطلها ساميا آخر هو العربي . ولا نعرف قصة تهيأ لها شيوع في الادب الحديث كله كهذه القصة الظالمة .

ولقد كنت احسب ان العرب سيدركون خطورتها واثرها في تضليل العالم وفي طمس الحقائق الثابتة عنهم وسيحاولون ان يطلعوا بقصة مماثلة . واذكر ان بعض المفكرين بالبلاد العربية حثوا على شيء من هذا ولكننا لم نعرف لتناديهم صدى ، ويجدر بي أن أذكر باكبار المحاولة التي قامت بها الكاتبة البريطانية (أثل مانن) بقصتها (الطريق الى بشر السبع) (٥) ، فلقد ارادت لها ان تكون قصة الخروج العربية وانتظمتها اطار فريد حقا ولكنها لم تلق الرواج الذي كنا نصبو اليه لان الصهاينة تصدوا لها وقل ان عنيت بها المكتبات .

وأريد ان اوسع الدائرة التي وقف عندها الاستاذ كنفاني وفتات ناجحة وهو يعرض الاسلوب الذي عمد اليه الصهاينة لتشويه الصورة العربية وتجريد العربي من كل الفضائل ، سواء أولئك الكتاب الصهاينة الذين عاشوا في

فلسطين قبل عام ١٩٤٨ أو بعدها لاذكر ان الصهاينة قد نهجوا في الميادين الفكرية الاخرى نهجا مائلا وتعقبوا خطة أحكمت أصولها ومقوماتها لمحاربة العرب في الغرب وفي الولايات المتحدة خاصة ، فاستطاعوا السيطرة على كثير من المعاهد العلمية التي تعنى باللغات السامية والآداب الشرقية ، وحاولوا أن يتسللوا الى أمهات المجالات التي تعنى استطاعوا أن يتسللوا الى أمهات المجالات التي تعنى بالدراسات الشرقية ويثثوا فيها ما يشوه كثيرا من الحقائق الثابتة عن العرب . ولعل من ابرز ما ظهر في هذا المجال كتابان عني اولهما بالقومية العربية وصيرها شوهاء نكراء اعتدائية بربرية الفتة كاتبة يهودية صهيونية هي (سلفيا حيم) وروج له الصهاينة كثيرا ، والآخر كتاب يهودي صهيوني يعلم في مدرسة الاقتصاد الشهيرة بجامعة لندن هو (الياهو خضوري) وقد شوه رسالة ابرز مجتهدين اسلاميين محدثين هما (محمد عبده) و (جمال الدين الافغاني) ووقف كتابه كله ليدل على ان حقيقة رسالتهم تعتمد على الغش والنفاق والرياء ، ولا نعرف في تاريخ التنكر للعرب بالقرب شيئا يضارع هذا الذي يحاول الصهاينة اختلاقه منذ حملات (رينان) الشهيرة .

ومن يتابع النتاج العام الذي يعنى بالشرق الاوسط ، لا يستطيع الا ان يعجب من هذا السيل الذي لا ينقطع من الكتب والكتيبات والنشرات ، وهو في غالبه ضحل غث ولكنه مقصود أيضا ، ويعنى جله بجانب او باخر من جوانب الحياة العربية ليمعن بها تشويها وتعكيرا ، فصارت صورة العرب السائدة في الاوساط الاميركية لا تختلف كثيرا عن تلك الصورة التي انتزعها الاستاذ كنفاني من رواية (الخروج) او (لصوص في الليل) . وصرنا نراهم يتفننون بأساليب التشويه لتظل الصور ماثلة في النفوس والاذهان . وحسبي ان اشير الى هذا الفيض الذي ملأ المكتبات في اوربا والولايات المتحدة منذ حزيران .

فلقد ظهرت بعد شهر واحد من الاعتداء الصهيوني القادر على البلاد العربية جملة كتب تمثل حلقة واحدة بين الوسائل الكثيرة التي لاذ بها الصهاينة لتبرير عدوانهم وتصويره نتيجة طبيعية للسياسة العربية . وكان من بين مؤلفي هذه الكتب كتاب ماجورون معروفون مثل صاحب كتاب (قضية اسرائيل) فرانك جرفازي ، وبينهم متصهينون امثال راندولف تشرشل وروبرت ونوان .

ويجدر ان نتذكر ان الادب قد عرف نصيبه الوافر في هذا الميدان ايضا ، فظهرت قصة الحياة الاسرائيلية في كتاب (اسرائيل : أعجوبة في الصحراء) لكاتب صهيوني ، وطلعت (يائيل دايان) ابنة موسى دايان في رواية جديدة اقتفت فيها النهج العلوم والركيزة التي وصفها الاستاذ كنفاني لجل النتاج الصهيوني ، وعنوان هذه الرواية (للموت ولدان) .

دار الآداب تقدم

ديوانين كبيرين لشاعرين كبيرين

الموت في الحياة

للشاعر
عبد الوهاب البياتي

صدر حديثا

الثنى ٢٥٠ ق.ل

المسيح والمرايا

للشاعر ادونيس

صدر حديثا

الثنى ٦٠٠ ق.ل

بدراسة مسهبة .
ان كتاب الاستاذ كنفاني يرسم اطارا شاملا للادب المتصهين ، وهو فريد بموضوعه وبما أدركه من براعة في سبر اغوار الصهيونية وابعادها ومراميها وتسخيرها الادب ليظل سلاحا بين اسلحتها الكثيرة التي حاربت العرب بها . ولا شك بأنه أسدى خدمة صادقة وكشف عن نواح خطيرة تحتم علينا ان نتدبرها ونتدارسها اذا ما أردنا ان نكون اكثر وضوحا في مناهجنا وأصدق فيما نقتفي لمجابهة الواقع .

ناصر الحاني

- ١ - « في الادب الصهيوني » تأليف غسان كنفاني : سلسله دراسات فلسطينية التي تصدرها منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث .
- ٢ - ول دورانت (بالانكليزية) : تاريخ الحضارة ٦ - ٧٢٠ .
- ٣ - المصدر ذاته ٦ / ٧٢١ - ٧٢٥ .
- ٤ - الموسوعة البريطانية : مارتن لوثر .
- ٥ - نشرت في الولايات المتحدة عام ١٩٦٣ وقد خصتها مجلة « الاقلام » البغدادية ببحث مسهب للدكتور جميل سميد (ايلول ١٩٦٤) .

ولو اردنا ان نتقصى المقالات والبحوث التي عنيت باسرائيل خاصة والمنطقة عامة واستأثرت اسرائيل بقسط فيها لضقتنا ذرعا بها ، ولالفينا هذا مطلبنا لا قبل لفرد به ، مهما أوتي من صبر وجلد ، ولتبين لنا ان الصهيونية فعلت هذا كله عن قصد واكثرت من الكتب والبحوث والمقالات وغزت الاسواق واندرست في كل وسيلة اعلامية لتطبق خطة تعتمد الى « غسل الادمغة » كما قلنا ، والقضاء على كل ما عرف به العربي من فضيلة او شاع عنه من صفات . ولذلك لا يستغرب الذين عرفوا حقيقة السبل التي يركبها الصهاينة هذا الفيض الهائل بعد العدوان الآثم ولا يعتبرون - كما ذكر الاستاذ كنفاني - مصادفة مقالة كمقالة مجلة (تايم) الاميركية التي نشرتها بعددها الصادر في ١٤ تموز ١٩٦٧ وتجنبت بها على العرب بما لا نعرف له مثيلا بين ما كتب عنهم او عن امة اخرى في التاريخ . واحسب ان الاستاذ كنفاني وضع يده على مثال صارخ لما وصلت اليه حملات التضليل الصهيونية في العالم ، وكنت اتمنى لو انه ترجم المقالة وصيرها ملحقا لكتابه ليقف عليها كل عربي . واعتقد بأن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية حري بأن يخص هذه المقالة وما ينحو نحوها